تحقيق أدبي

الأدب البرازيلي

إعداد: رنا إدريس

● نشرت مجلّة «ماغازين ليتيرير» الفرنسية في عددها رقم ١٨٧ تحقيقاً بعنوان «كتاب البرازيل»، نترجم في ما يلي ملخصاً له.

عندما نتكلّم عن الحياة الثقافية في البرازيل، نذكر رقص وموسيقى «السامبا»، و«كرنافال ريو دو جانيرو» و«السينما نوفو». لكننا غالباً ما ننسى أدبها الذي يعبّر عن أراضي «السرتاو»[1] الجرداء وعن أعاصير المدن الكبيرة. وليست حياة كتّاب البرازيل سهلة، فقد فرّقتهم اللغة البرتغالية عن قارّتهم. وأجبرت الديكتاتورية العسكرية بعد انقلاب عام ١٩٦٤، العديد منهم إلى الهجرة من البلاد. ولقد عاد أكثرهم اليوم، بعد الانفتاح الديموقراطي إلى وطنهم فحان الوقت لزيارتهم والاستماع إليهم.

جورج آمادو:

إنّه، دون أدنى شكّ، من أعظم روائيي البرازيل وأميركا اللاتينية. ولد «جورج آمادو» عام ١٩١٢ في مزارع الكاكاو في «باهيا». وقد أصدر عام ١٩٣١ روايته الأولى «بلاد الكرنفال»، ثم كتاب «كاكاو» الذي جعل منه الكاتب الأكثر شعبيّة في البرازيل. وأصدر كتاب «باهيا جميع القدّيسين» عام ١٩٣٥ الذي حصل على جائزة «كراسا آرانها». وقد تحدّث آمادو، في جميع رواياته، عن حياة الزنوج وعمّال البحر والصيادين والأطفال اليتامى. وناضل مع الجبهة الشعبية البرازيلية وسُجن عدة مرات وحُرقت كتبه ونُفي من البرازيل. ثم عاد إلى الوطن عام ١٩٤٥ وانتُخب نائباً لمدينة «ساوباولو». وقد نجح «آمادو» بإقناع الجميع بأن الأدب الحقيقي لا يتناقض مع الأدب الشعبيّ الرائج.

«يمكننا القول إن صفة الأدب البرازيلي الرئيسية هي الإخلاص لمصالح الشعب وللطابع البرازيلي الأصيل. فإذا نظرنا إلى الشعر والرواية في البرازيل، من «غريغوريو دي ماتوس» حتى الشعراء المحدثين والثوريين، نجد أن القاسم المشترك بينهم هو موقفهم الواضح والملتزم تجاه الشعب ومشاكله. ذلك أنهم وعوا أن مهمتهم لا تقتصر على إبداع الجمال فقط. يجب إضافة الدم إلى جمال الأحاسيس الإنسانية.

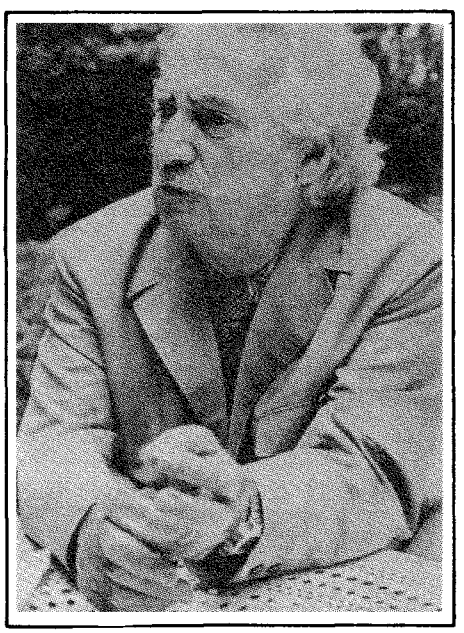

جورج أمادو

«يمكننا القول أيضاً إن بطل أدبنا هو، بشكل عام، الشعب البرازيلي. لقد حاول بعض الكتّاب استبدال الطبقة الشعبية بالطبقة الوسطى كبطل لرواياتهم فتثبتنا فوراً من

(١) السرتاو: مناطق البرازيل الداخلية التي يصعب الوصول إليها.

اصطناعية هذا العمل وانفصاله عن التقليد الأدبي البرازيلي. هذا ما حصل أثناء الحكم الديكتاتوري الأخير: فيمكننا إحصاء عدد من الكتب لا وجود فيها للبرازيل وشعبه، بل حل مكانها التحليل النفسي لطبقة مثقّفة عاجزة عن وصف مشاكل الشعب. هذه الكتب اختفت دون أن تترك أيّ أثر. بينما أكمل الأدب البرازيلي طريقه، يحلّل المشاكل ويناقشها، يعرضها على القارىء ويخدم الإنسان.

«ونحن نجد هذه الوحدة في مختلف المواضيع والأشكال والأساليب والكلمات. نحن نختلف عن بعضنا في كل صفحة نكتبها، لكننا نلتقي عند مقاومتنا الفقر والتأخّر الاقتصادي والظروف الظالمة التي يعاني منها شعبنا، وعند مجابهتنا للحكم الدكتاتوري والعسكري وكل ما يستغلّنا ويقهرنا.

«وبطل الكاتب «جيومارايس روزا»، الذي يعيش في «السرتاو» ويناضل، هو نفسه بطل الكاتب «راموس». كلاهما يتحدث بطريقة وكلمات ولغة خاصة بكل منهما، عن مأساة الرجل البرازيلي ونضاله.

«إنّي افتخر بأدبنا لأنه يرسم وجه البرازيل وينطق بصوت شعبنا. فالأدب البرازيلي لا يزوّر الحياة ولا يخون الإنسان. ليس للشعب البرازيلي شبيه، إذ أنه محصّلة حب الأجناس المختلفة التي التقت على أرضنا واختلطت، فأعطت شعباً ملوّناً وثقافة ملوّنة تواجه المآسي، وتُكمل النضال».

من كتاب «باهيا جميع القديسين» لجورج آمادو.

ــ هناك عبدٌ يعيش عيشة ماجنة، يُدعى «جوزي استيك». شجاعته لا تصدّق لكنه أكثر البشر شراسة. داهية حقيقية.

ــ هل هو لصّ متسكّع؟

ــ لا، ليس هو لصّاً لأنه مزارع ثريّ اسمه «زي استيك» ويملك مزارع «كاكاو» لا يمكن إحصاؤها. لكن الرجال الذين قتلهم أكثر من مزارعه.

ــ لم يُلْقَ القبض عليه قطّ؟

غمز الرجل وقال مبتسماً:

ــ يُلقى القبض عليه؟ أقول لكم إنه ثريّ...

كانت ابتسامته لئيمة. نظر إليه الآخرون باستغراب. لكنهم ما لبثوا أن فهموا وتابعوا إنصاتهم إلى الرجل القادم من «إيلهيوس».

ــ أتعلمون ماذا يفعل؟ إنه يأتي إلى ضيعة «إيتابوناس». وعندما يرى رجلاً ذا شأن، يَتَرَجَّل عن حصانه ويقول له: «افتح جيبك. فأنا أريد أن أبوّل داخله». ويطيعه الآخر. وفي أحد الأيام، يدخل الضيعة ويلتقي بابنة المختار البيضاء. هل تعلمون ماذا فعل؟

ــ «إمسكي هذا يا صغيرتي، إنّي أريد أن أبوّل...» لقد أرادها أن تمسك ما تعتقدون أنها أمسَكَت.

ضحك الجميع: «وهل أمسكته؟».

ــ إنكسفت الفتاة المسكينة إلى حدّ كبير.

وأَحَبَّ الرجال جميعهم «زي استيك»، بينما احمرّت الفتيات خجلاً.

ــ لقد قتل وسرق وتعدّى على الكثير من الفتيات. إنه ماكر.

ــ ومات؟

ــ مات على يدي رجل نحيل وغريب عن المنطقة.

ــ كيف حصل ذلك؟

وصل رجل يشذّب شتلات الكاكاو، في أحد الأيام. لم يكن أحد من قبله يشذّب الشتلات. وكسب مالاً واشترى قطعة أرض. ثم عاد إلى ضيعته ليتزوّج. وعاد بصحبة امرأة بيضاء إلى حدّ أنها تشبه الدُمى الصينيّة. وكانت أرض الرجل تقع بالقرب من مزرعة «زي استيك» وذات يوم، مَرَّ «زي استيك» بالقرب من الأرض وشاهد المرأة التي كانت تنشر غسيلها. فقال «لنيقولا»...

ــ من هو نيقولا؟

ــ الرجل الغريب.. قال له: «اترك لي هذه الدمية هنا، يا صغيري، وسأعود في المساء وآخذها». خاف الرجل على الفور وأخبر جاره بالقصة. فقال الجار إنه يجب أن

يقبل بهذا أو أن يُقتَل، لأن «زي استيك» صادق في ما يقول. لقد قال إنه سيعود ليأخذها، فهو سيعود بكل تأكيد. أن يهرب؟ ليس هناك الوقت الكافي، ثم تراه يذهب إلى أين؟ إنه لا يقبل أن يتخلى عن زوجته الجميلة التي أرجعها معه من ضيعته. إذاً، إنه الموت المُحتّم...

فقد المستمعون صبرهم...

ـ ماذا فعل عندئذٍ؟

ـ قدم «زي استيك» في المساء. ترجّل عن حصانه وبدلاً من أن يجد المرأة، شاهد شخصاً آخر: الرجل مختبأً وراء سدّ، وبيده فأس كبيرة. وقد شطر رأس «زي استيك» شطرين... إنها نهاية قذرة...

قالت امرأة: إنه يستحق ذلك!

ورسمت امرأة أخرى إشارة الصليب، مذعورة. وروى الرجل القادم من «إيلهيوس» قصصاً عديدة عن أرضه البطولية.

لقد تَعَلّم الفتى الزنجي «بالدينو» الكثير من هذه الثرثرات. وقبل أن يبلغ العاشرة من عمره، أقسم أنّه سيُغنّي في المستقبل بطولات الشعب، في مدن كثيرة وسيستمع إليه رجال كثيرون».

* * *

جويمارايس روزا والأدب المحلّي:

يعتبر أدب البلدان المُستَعْمَرَة بحثاً عن هويّة وطنية قبل كل شيء ويأخذ الأدب في البرازيل شكلين مختلفين يتمثلان في التيار المحلّي من جهة والتيار المديني من جهة أخرى.

ويتوافق زمن الاستقلال، الذي أُعلن عام ١٨٢٢، مع الفترة الرومنطيقية والتيار «الهندي» الذي يمجّد سكّان البلاد الأصليّين ويعتبرهم الأسلاف الأسطوريين.

ولقد بَرَزَ الأدب المحلّي في هذه الفترة. وظهر هذا النوع من الأدب كتعبير برازيلي أصيل، لأنه مرتبط بالأرض ومُمثّل لانعزال ثقافي ولغوي يتناقض مع الحقيقة المدنية المتأثرة بعوامل أجنبية. واتخذ هذا التيار أهمية كبيرة في القرن التاسع عشر، لكنه فَقَدَ من اعتباره في القرن العشرين، إذ بالغ بوصفه للغريب وبلهجته العاطفية والأبويّة. ومنذ عام ١٩٤٠، نشأ أدب مديني، خاصة في مدينة «ريو دو جانيرو». وقد خلق هذا النوع منّ الأدب لغة ثقافية شاملة يمكن لجميع المواطنين الاشتراك فيها. واكتسب هذا التيّار، بفضل الكاتب الكلاسيكي العظيم «ماشادو دي أسيزي» الشمولية التي كان يطمح إليها.

جويمارايس روزا

لكن هذين التيارين، المتناقضين ظاهرياً، يتكاملان في الواقع ليشكّلا الأدب البرازيلي الحديث. وتتجلّى وحدة التيارين بشكل واضح في أدب الكاتب «جويمارايس روزا».

أصدر «جويمارايس روزا»، عام ١٩٤٦، مجموعة قصص «محلّية» بعنوان «سجرانا». وقد اعتُبرت هذه المجموعة كأدب «مختلف» من الناحية القصصية واللغوية والتركيبية. ثم طَوّر وعَمّق أسلوبه عبر السنوات في سلسلة من الروايات أهمّها «حقائق السرتاو الكبير» (١٩٥٦). وكان لهذه الرواية وقع كبير، إذ أن الكاتب انطلق من المفهوم المحلّي وضخّمه إلى حدّ أنه بلغ الشمولية. لقد استغل فعلاً الخاص ليصل إلى الشمولية المطلقة. ولم يكن ممكناً للكاتب أن يتجاهل عالم «السرتاو» الريفي الذي فرض نفسه على ضمير الفنان والسياسي والثوري. لقد تجاوز «روزا» هذا العالم وجعل منه مادة متعددة الأبعاد تتجاوز المعطيات المحليّة.

هكذا أصبح «روزا» أعظم روائيّ في اللغة البرتغالية، إذ تجاوز الواقعيّة ليعطي مفهوماً جديداً للواقع، وتكلّم عن الإحساس الحقيقي عبر الوصف الخيالي، وحدّث الكتابة دون أن يخون تقليد اللغة والقالب المحلّي.

وربما كان «روزا» الروائيّ الأوّل الذي حقّق وحدة أدبية يطمح إليها كل روائي: توحيد التعطش إلى الخاص كهويّة والشغف بالشموليّة الإنسانية.

ويتميز أدب «روزا»، من ناحية أخرى، بإبداعه

اللغوي، إذ يتخطّى الوصف الاجتماعي والواقعي عندما يلجأ لأشكال لغوية جديدة: فيضيف أو ينقص لاحقات وسابقات إلى كلمات مألوفة، ويقطّع الجمل والعبارات، يجمع أشكالاً مُتعارضة. إنه يستخدم طرقاً إبداعية تتضمّن التشويه والابتكار اللغوي. أما على الصعيد الشعري، فيملك شبكة من القوافي والأصداء والمجانسات الصوتية والأقوال المأثورة والأغاني الرتيبة التي تبتعث باستمرار صوراً شبه حسيّة تفتن القارىء وتدهشه.

«أوسوالد دي أندرادي» والأدامة[1]:

يُعتبر تيّار الأدامة النتاج الأكثر أصالة لفترة اللاإستقرار التي اجتاحت البرازيل في العشرينات. وكان هدف هذه الحركة الأول البحث عن هويّة وطنية. وقد توجهت هذه الإرادة لخلق فنّ وأدب برازيلي أصيل، نحو رجوع إلى المنبع، إلى الجنة الأسطورية قبل «اكتشاف» البرازيل. فأصبح هنود البرازيل مصدر الإلهام الأوّل. لكنهم ليسوا بالهنود الرومنطيقيين الهادئين. لقد كان هنود البرازيل غالباً ما يأكلون المسافرين الأجانب، لكي يعدموا العدو ويكتسبوا صفاته. وستصبح هذه الممارسة الاستعارة المفضلة لحركة «أندرادي» الأدامية.

والواقع أن تاريخ البرازيل، ثم تبعيّته الاقتصادية للبلدان الصناعية، وضعت الشعب تحت مخالب خطرة وهددته بالافتراس. وكذلك ابتلعت تعاليمُ الدين المسيحيّ الثقافةَ الهندية وتشكّلت ثقافة جديدة من ركائز أوروبية وأفريقيّة. وما تزال البرازيل يجابه حظر الاستيراد الثقافي المستمر. فكانت القضية على جميع المستويات، تضع الشعب الأصيل أمام خيارين: إما أن يَلتَهموا أو أن يُلتَهموا. وهناك مسلك واحد لمواجهة أزمة الهويّة المؤلمة: خلق مجتمع وفنّ وطني. وقد صمّم الكاتب «أوسوالد دي أندرادي» نظرية الأدامة الثقافية والاقتصادية لالتهام التقنيّة والأفكار الأجنبية التي تجلب صفات الإنسان المُفتَرَس (كما في الممارسة الهندية) والتي تحول، في الوقت نفسه، دون ابتلاع الإنسان الأجنبي للشعب الأصيل.

(١) أدامة: أكْل لحم البشر.

وللالتهام الذي اقترحه الأداميّون الجدد قواعد صارمة: فالمسألة تقضي بأن يختار المجتمع نوعيّة الفريسة التي سيلتهمها، دون أن يرفضها كلياً. وهذه نقطة جوهرية لتحديد النظريّة الأدامية، إذ أنها ترفض التمييز العنصري والانعزالية الثقافية. فتكون أدامة «أندرادي» سيرورة ديناميكية ترفض توسّع جنس أو عرق إلى وطن استعماري. إذ تتضمّن النظرية سلسلة من الإنكارات التي تكوّن في الوقت نفسه حصائل. وتنفتح أدامية «أندرادي» للآخر، فهي توحيدية لكنها تستبعد العناصر التي تسيئ إلى صحّة المُلْتَهِم. لكن «الصحّة الهنديّة الجيدة» تتبع أصولاً تختلف عن المقاييس الحضارية الأخلاقية، بل هي مبنيّة على أسس «الليبيدو» والشهوانية والمرح، وعلى رفض القيود، وتدافع عن الحرية الجنسية والفكرية وعن العدالة الجماعية والشجاعة في مواجهة الأعداء، وترفض الكبت.

وقد كان الهدف إيجاد الذهنية الهندية من جديد، تلك الذهنية القبل ـ عقلانية والبدائية التي لن تنقذ البرازيل فحب، بل الغرب بأكمله من العقلانية. يقول «أندرادي»: «فيما كان الغرب يعاني من كارثة العقلانية، كان الهندي مخلصاً للحياة. إنه لم يبتعد ولم ينفصل عنها. وقد أنزل الفوطبيعي إلى الأرض وشرب كحوله وأكل لحم البشر». لكن رفض العقلانية من قبل الأداميين الجدد لا يعني اللجوء إلى التصوف أو الباطنية. إذ تصف الفلسفة الأدامية نفسها بأنها فلسفة مادّية يحلّ فيها الجسد مكان الروح وتتنافى الغريزة (الصحة الجيدة) مع العقل (المرض). كما أن الأدامي الديني يدين التعاليم المسيحية وبعثاتها.

اندرادي

ويفضّل «أندرادي» النظام الأمومي (المتميّز بالحريّة الجنسيّة) على نظام الأبوّة (ويمثّل قانون الإعلاء، أي تحويل طاقة الميول المكبوتة واستنفادها في ميادين أخرى).

إذن، تكمُنُ قاعدة الأدامة الأساسية في تحويل المحرّم إلى الطوطم، بواسطة عمليّة الالتهام. فالمحرّم، في ذلك

الحين، كان يتمثّل بفرض الأخلاقية المسيحيّة على الشعب الأصيل. كان من الضروري أن يُفتَرس الآباء جميعهم، وفي الطليعة آباء الكنيسة، لكي يصبح الشعب أقوى وأشدّ مرحاً.

إن قواعد الأدامة معقّدة: يلتهم المرء الشيء الذي يحبّه، ويلتَهِم الشيء الذي يكرهه؛ ويكون التركيز في الحالة الأولى، على الاستيعاب، ويكون، في الحالة الثانية، على الحَذف. وفي كلتا الحالتين، يكتسب الأدامي قوة الأشياء والأفكار.

ويتطلّع الأدامي، فيما يعود إلى الينابيع، نحو مستقبل باهر، نحو عالم نجد فيه الرجل البدائي يقود سيارة، ونجد ناطحات سحاب في الأدغال، وهاتفاً معلّقاً على نخلة: «نحن بدائيّو القرن الجديد». وهذه الصلة بين الماضي الأسطوري، والمستقبل التقنيّ، تنفي النظرية الغربية التاريخية. حركة دائريّة تستعيد الماضي وتبشّر بمستقبل يولد فيه القديم ــ التقني: «ابتلاع كل شيء، حتى يُقدّم لنا طَبَقٌ أشهى».

لقد قرأ المفكّرون الأداميون كتب «مونتين» و«بوسويه» و«ساد». ووجدوا في كتابات «نيتشيه» و«ماركس» و«فرويد» مشابهات عجيبة مع الحضارة الهندية، كأسطورة العودة اللامتناهية وإنكار رأس المال والملكيّة والتفكير القبل ــ عقلاني. . لكن المشروع الأدامي لم يقتصر فقط على التأمّلات الذهنية، بل كان يطمح إلى تغيير المجتمع البرازيلي. كان «أندرادي» يحلم، كأيّ نبي، بالعمل الميداني على المجتمع. وكان المشروع الأدامي ينظر إلى تحسينات على أصعدة حساسة جداً كإصلاح التعليم ووظيفة الكنيسة الاقتصادية والدفاع عن حقوق المرأة وحق الطلاق. . حتى أن «أندرادي» كان يطمح إلى حكومة أدامية لحلّ جميع مشاكل البرازيل.

لكن الأداميين فوجئوا بتعطيل مجلتهم عام ١٩٢٩. وربما كان ذلك التعطيل لمصلحتهم، إذ أن الحركة بدأت تعاني من مشاكل تنظيمية أفقدتها عفويتها البدائية.

لمحة عن حياة «أوسوالد دي أندرادي»:

ولد عام ١٨٩٠ من عائلة ثريّة وتلقّى تربية تعدّه لأن يصبح سيِّداً. سافر، عندما بلغ الثانية والعشرين من العمر، إلى أوروبا وتعرَّف على النظرية «الداديّة» هناك. كما أنه عقد علاقات مع «كوكتو» و«جول رومان» و«سندرار». وتعرَّف، من خلال زوجته الرسامة، على «بيكاسو» و«ليجي». أشرف عام ١٩٢٨، على تحرير مجلة «الأدامة» التي اكتسبت شهرة عالمية. ومن أهم أعماله الأداميّة رواية «ذكريات جوا ميرامار العاطفيّة» (١٩٢٣) و«مرفأ سيرافيم الكبير» (١٩٣٣). وتتميّز كتابة «أندرادي» بعدم انتظامها وأساليبها المتقطعة التي تتضمّن أخباراً برقية وتجميعات خاطفة السرعة وتعدّداً في وجهات النظر. والحق أن كتابات «أندرادي» تعبّر بطريقة بارعة عن «مهرجانيّة» بلاد البرازيل.

* * *

«جيلبرتو فريري»: أسياد وعبيد:

وُلد عام ١٩٠٠ في مدينة «ريسيف» في البرازيل وتخصَّص بعلم الاجتماع والإناسة في جامعات أميركية. عُيِّن عام ١٩٤٨ في منظمة «الأونسكو» في باريس كاختصاصي عالمي بعلم الإنسان لمناقشة مشاكل الأزمات العالمية. كما انتخب عام ١٩٤٦ عضواً في البرلمان البرازيلي. ويُعتبر «جيلبرتو فريري» كاتباً أولاً وعالماً اجتماعياً ثانياً. ولا تقلّ لغته الروائية ثوريّة عن تحاليله الاجتماعيّة والتاريخيّة. ولقد مَثَّلَ «فريري» البرازيل على الصعيد الثقافي، كما مثَّلَ «سيرفانتس» إسبانيا و«تولستوي» روسيا و«سارتر» فرنسا. ولقد اكتسب الكاتب شهرته عندما أصدر كتاب «أسياد وعبيد» عام ١٩٣٣، وهو كتاب رائع يعالج قضايا المجتمع البرازيلي المُسْتَعْمَر وتكوينه الطبقيّ والثقافيّ والعنصريّ.

جيلبرتو فراري،

يقول الأنثروبولجي البرازيلي الشهير «دارسني ريبيرو» إن ميزة كتاب «أسياد وعبيد» الرئيسية هي التجديد التحليلي والأدبي، إذ أن الكتاب أعطى مركزاً «رسمياً» لكثير من الكلمات البذيئة ورفض أن يكون أبطاله أشخاصاً معيّنين،

بل الطبقة الشعبية بأكملها. لقد أهانت جرأة «فريري» الكثير من رجال الأكاديميا، وهو يتحدَّث على سبيل المثال عن عادة برازيلية قديمة يتبادل فيها الرجال زوجاتهم مع أصدقائهم.

ويضيف «ريبيرو» أن «فريري» علَّم الشعب البرازيلي بأجمعه أن يتصالح وأسلافه الزنوج، الذين يعتبرهم البعض دخلاء إفريقيين. علّمه أن يتعرَّف باعتزاز على ملامحه الأفريقية، على شعره الأجعد وشفتيه الريّانتين.

من كتاب «أسياد وعبيد»:

يحمل كلّ برازيلي، ولو كان أبيض البشرة وفاتح الشعر، علامات زنجيّة في داخله. فالتأثير الزنجيّ واضح في جميع تعابير حياتنا المخلصة: في طرقنا الحنونة، في حركات أجسامنا. في موسيقانا، في مشيتنا وكلامنا، في تعاملنا الجنسيّ، في الأغاني التي رعت طفولتنا. فهو تأثير العبدة أو الخادمة الزنجيّة التي سهرت على نومنا والتي أرضعتنا وأطعمتنا، تأثير العبدة العجوز التي قصَّت علينا حكايات الحيوانات والأشباح الأولى، التي عرَّفتنا على الحب الجنسي، تأثير المرأة التي أعطتنا الشعور بالرجولة الأول، في سريرها المعلق المتأرجح في الهواء. إنه تأثير الفتى الأسود، أوّل صديق لعبنا معه في الشارع.

. . . يحكون في بلادنا عن رجال بيض لا يمكنهم بلوغ ذروة الشهوة الجنسية إلا بصحبة زنجيات. فهناك شابّ من عائلة راقية في منطقة «برنابوك» رفض الزواج من قريباته وفتيات بيضاء أخريات من عائلات «مهمّة». لم يرضَ إلا بفتيات سوداوات. ويقصّ علينا «راؤل دانلوب» حكاية شاب من عائلة أسياد استحال عليه أن يتمّم زواجه مع زوجته البيضاء. فكان يُضطرّ، في ليالي الزواج الأولى، لأن يضع داخل المضجع، قميص عشيقته السوداء المبلّلة بالعرق الزنجي. إن تلك الحكايات تجعلنا نعي تأثير العبدة الزنجيّة في حياة البرازيل الجنسيّة والعائلية.

. . . وحكايات الرعب؟ نعم، هناك مخاوف جديدة أفريقية أُضيفت إلى المخاوف الهندية والبرتغالية وإلى الساحرات والذئاب ورجل الأحناك السبعة والميت العائد والبُعْبُع وجميع وحوش العالم الآخر، إلى حدّ أن الطفل البرازيلي أصبح محاطاً بالرعبات المفزعة أكثر من أيّ طفل من البلدان الأخرى. يلتهم الرجل البحار، على الشواطىء، أصابع الطفل ورأسه وأعضاءه التناسليّة. وفي الغابة، هناك الرجل الأعرج، وفي جميع الأماكن، يظهر الماعز المتُشقلب، والحمار المبتور الرأس والزنجيّ حامل الكيس واليد المُشعِرَة. وفي المستنقعات والأنهار، تنبعث «أمّ المياه»، وفي الليل، أرواح العالم الآخر التي تلحَس «حساء الأرواح» على وجوه الأطفال. لذلك لا ينسى أيّ طفل أن يغسل وجهه ويستحمّ عندالصباح.

كذلك يشكل التنقّل ليلاً أكبر الأخطار، إذ يهاجم الأشباح البيضاء، الذين يتضاخمون كلّما اقتربوا، الأطفالَ طائشين، وهناك آكل ـ الكبد أيضاً، الذي يلتهم أكباد الأطفال. يؤكّد الناس حتى اليوم أن رجلاً ثريّاً في منطقة «برنابوك» يتغذّى من أكباد الأطفال ويوظّف جماعات من الزنوج لاختطاف الأطفال في أكياسهم الكتّانية. وهل ننسى «الكيبنغو»؟ إنه وحش مريع في أفريقيا، نصف رجل ونصف حيوان، ضخم الرأس. عندما يحني رأسه، تنفتح فجوة في منتصف ظهره. ويأكل الأطفال عندما يحني رأسه: تنفتح الفجوة ويُبتلع الطفل. وداعاً! أصبح الطفل داخل سَلْعَة «الكيبنغو». ويتجوّل هذا «الكيبنغو» بالقرب من الأطفال الأشقياء قائلاً:

لمن هذا المنزل،
هنا على الطريق؟
والطفل في داخله،
كيف نأكله، كيف نأكله؟

وقصة الزنجي حامل الكيس؟ ما يزال الأطفال يرتعشون خوفاً عند سماع الحكاية:

غَنَّ غَنَّ يا كيسي،
وإلّا ضربتك العصا.

إنهم يخافون مقابلة الزنجي العجوز حامل الكيس. ولم ينسوا «فتاة الحلق الذهبي». كانت للطفلة زوجة أب شرسة جداً. وفي أحد الأيام، ذهبت الفتاة الصغيرة لتستحمّ في النهر وكعادتها نزعت حلقتي أذنيها ووضعتهما

على صخرة. عندما وصلت إلى البيت، تذكّرت أنها نسيتهما. «فلتحميني العذراء! أين حلقتي؟ حلقتيّ الصغيرتين العزيزتين! وزوجة أبي! ستقتلني زوجة أبي بسبب الحلقتين». وعادت إلى الجدول لتفتّش عنهما. لكنها عندما وصلت من وجدت؟ زنجي عجوز قبيح أمسك بالطفلة ووضعها داخل كيس. ذهب مع الصغيرة وأينما وصل، كان يضعَ الكيس على الأرض ويقول:

غَنِّ غَنِّ، يا كيسي،
وإلّا ضربتك العصا

ويغني الكيس بصوت حنون:

وضعوني في هذا الكيس،
وفي هذا الكيس سأموت،
بسبب حلقتيْ أذنين،
منسيتين على ضفّة الجدول.

أُعجب الجميع بصوت الكيس وأعطوا الزنجي العجوز بعض المال. وفي أحد الأيام، وصل العجوز إلى بيت زوجة الأب. وعُرض عليه أن يستريح ويأكل ويشرب وينام، لأن الليل قد هبط. ويبدو أن أخوات الفتاة اشتبهن بصوت الكيس العذب. وفي الليل، عندما نام العجوز، ذهبن وفتحن الكيس، وأخرجن الأخت. كادت تموت جوعاً، المسكينة الصغيرة. لقد رفض الزنجيّ العجوز إلّا أن يطعمها نَعل حذائه القديم. ووضعت الأخوات، مكان الفتاة، بعض البراز داخل الكيس. وفي الغد، استيقظ العجوز وشرب قهوته وغادر المنزل دون أن يدري بالتغيير الذي حصل الليلة السابقة. وعندما أمر الزنجي الكيس بالغناء، لازم الكيس الصمت. فضرب الكيس بالعصا ضرباً قوياً. لكن الكيس تمزّق. تصوروا موقف العجوز!».

دار الآداب تقدم
مؤلفات الدكتور عبدالعزيز المقالح

- **من البيت إلى القصيدة**
- **عمالقة عند مطلع القرن**
  (دراسة عن: طه حسين، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم عباس العقاد، أبو القاسم الشابي، مصطفى الرافعي)
- **أوليات النقد الأدبي في اليمن**
- **أحمد الحورش (الشهيد المربي)**
- **زيد الموشكي (شاعراً وشهيداً)**
  بالاشتراك مع عبدالله البردوني وآخرين
- **أزمة القصيدة العربية**
  (مشروع تساؤل)
- **أوراق الجسد العائد من الموت (شعر)**